ردّاً على رسالة مستشرق!

كم أتمنى أن أكون كما وصفتني يا صديقي وهيب (عطالله) بكلمتك الرفافة، «بليغا من أعلام البلغاء، وأميرا يواكب في بيانه الأمراء، وحرفا حيا بين حروف المختارين الأصفياء...»، فلا والله، ما أنا سوى طالب يتمتم هامسا بأبجدية الضياء، وما أنا سائل على شاطئ المعرفة يبسط كفّه للجداء، ويفتح قلبه للرواء، وما أنا سوى ذلك المحسور البصر الكليل الذي يتلمّس الحرف الوضّاء، ليصوغ منه كلمته العذراء، قربانا للرؤيا الزهراء، وصلاة طهورا وضيئة أقرع بها أبواب السماء، وأناجي دراري القبة الزرقاء، وأقبس من أنفاس الأنبياء، فأرتعش مأخوذا بروعة العاصفة الحمراء، ويا لها هادية في الظلماء، ويا لها ثورة نفس تلف الفضاء، وتنفض عن الروح غبار الغبراء، وتصعد به في معارج العلاء، وأيتها انها عادلة لا تحابي وبصيرة لا يخدعها المظهر واللون والطلاء، ومن جرفت من مغرورين أدعياء، وكم التهمت من فريسيين سفهاء، وكهنة بعل خبثاء، وسدنة هيكل سفهاء، وكم مزّقت من مطارف مجد نسيجها من خيوط الرتيلاء، وكم حسرت عن الوجوه براقع الدجاج والرياء، فإذا هم هباء في هباء، وكانوا يزعمون انهم عظماء...

ألا طهريني أيتها العاصفة من أوهام الأغبياء، وضلالات السقماء، وترّهات الجهلاء وعقد الكبرياء والاستعلاء، وانزعي عن عيني الاقذاء، لأرى الأشياء كما هي الأشياء... طهريني وحرريني لكي أكون كما أشاء، من صفو ونقاء، وكما يصفني اخوان الصفاء، وأصدقاء العطاء، ورفاق الطريق الى الذروة الشمّاء، وللتشجيع في النفس أصوات متجاوبة الأصداء، بليغة الإيحاء، ظليلة الحداء.

وسلام عليكم يا حماة الحرف الأوفياء، يا سحائب المعرفة الهطلاء، ويا أبناء عطارد وذكاء، يهنيكم السبق الى الفضل فرسانا على جياد النبل والولاء!

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه
واشنطن، في ٢٠٢١/٩/٢٢